من تراب (٢٨٥) اجن العسل ولا تكسر الخلية ! (*) الطريق!

هل تأمل أحد فى هذه العبارة التى تجرى مجرى الأمثال، وجعلها د.عائض القرنى أحد فصول كتابه : " لا تحزن " ؟!

ما معنى هذا المثل فى رفع أو مقاومة الحزن، والحيلولة دون اجتياحه حياة الإنسان ؟ إن الحزن تأتى رياحه من سوء علاقة الإنسان بنفسه أو بالناس .. والعنف والجفاء والصلف والتعالى والغطرسة هم أعداء المحبة والوئام . أليس فى الحديث النبوى أن الرفق ما كان فى شىء إلاّ زانه .. وما نُزِعَ من شىء إلاّ شانه .. هذا اللين يتجلى فى كلمة طيبة أو بسمة حانية .. إن طالب العسل لن ينال منه قطرة إذا كسر وأتلف الخلية، وهو يجده حين يشاء طالما بقيت الخلية ملاذاً للنحل ومكاناً لشهد العسل الذى يفرزه . كذلك علاقة الإنسان بالإنسان .. الرفق فى المعاملات هو مفتاح القلوب، والله سبحانه وتعالى يعطى الرفق ما لا يعطى على العنف .. اكتساب الأصدقاء فن مدروس قوامه جسور المحبة والمشاعر الإنسانية الفياضة .. دستور السعداء، مهما جنح الآخرون، هو نداء القرآن الحكيم : " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " .. فالرفق يكفكف أحزان الآخرين، وينزع الغل والغضب، ويفتح أبواب المحبات .. الرفق مفتاح لكل العواطف الجيّاشة، وطاقة لا تنفد للمشاعر الطيبة والحلم الدافئ ونسيان الإساءة والصفح الجميل ..

(*) المال ٢٠٠٩/٦/٢٩

فى حديث رسول القرآن عليه السلام : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " .. وإنه عليه السلام ليقول محفزاً أصحابه : " إن الله أمرنى أن أصل من قطعنى، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأن أعطىَ من حرمنى " .. هذا هو ما قال فيه القرآن المجيد فى وصف المؤمنين الذين مثواهم الجنة : " وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ " .. وبشر هؤلاء بثواب عاجل من الطمأنينة والسكينة والسلام .. وهم ممن قال تبارك وتعالى فيهم إنهم إلى جوار ربهم الغفور الرحيم، فى جنات ونهر " فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ " .

لا شىء كالذكر فى تعمير القلوب وزراعة اليقين .. الذكر هو الجسر الموصول إلى رب العالمين .. قال فيه القرآن المجيد " وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ " .. فلا عمل أشرح للصدر وقربة من الله، إلاّ ذكره عزّ وجل . " أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " .. من اطمأن فى رحاب ربه بحسن ذكره، هانت أمامه صعاب وهموم وأحزان الدنيا .. فبذكره سبحانه وتعالى تنقشع سحب الخوف والفزع والهمّ والحزن، وتنزاح الكروب والمنغصات، ويرتاح الذاكرون وهم بذكرهم فى حضرة ربهم الذى لا تغفل عينه سبحانه ولا تنام.

الله تبارك وتعالى وعد فى كتابه العزيز بأن يذكر من يذكره : " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ .. ومن ذكر الله سكنت روحه واطمأنت وابتهجت نفسه .. الذكر ليس محض ترديد باللسان، بل هو استحضار الرب تبارك وتعالى فى وجدان وفكر وقلب الذاكر الذى لا يصرفه شىء فى السماء أو الأرض عن ذكر ربه .. فى هذا الذكر إيمان بالله تنجاب أمامه كل الغشاوات، واطمئنان إلى عونه سبحانه وتعالى ومدده تهون أمامه كل الصعاب والمعضلات .. فيه يقول رسول القرآن عليه السلام : " ما جلس قوم يذكرون الله عزّ وجل إلاّ حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده " .

لا معنى للذكر باللسان والقلب لاهٍ .. لا بد أن يقترن الذكر على الدوام بحضور القلب مع الله تبارك وتعالى، وبه تشرف الدعوات .. وفى الحديث النبوى أن الذكر مقدّم علىَ كل العبادات .. على المسلم أن يختار له المكان الشريف، وأن يحسن فيه الخطاب . وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أمام المسلمين وأهل بيته فيحسن الذكر والدعاء .. يقول عزّ وجل فى كتابه العزيز : " وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ " .